هذا البيان لاتحاد الأدباء العرب

معن البياري

اعتبر الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب نفسه «ممثّلاً للملايين من أبناء العرب الصامدين»، في ختام البيان الختامي لاجتماع مؤتمره العام (الـ28) في القاهرة الخميس والجمعة الماضيين. ويمكن التسامح مع هذا التزيّد المُغالي فيه، لو أن نص البيان نفسه كشف عن نزْر من أوجه تمثيلنا، نحن الملايين، فباستثناء الكلام، المقدّر على كل حال، عن دعم الاتحاد «المطلق» للمقاومة الفلسطينية وطوفان الأقصى، ودعمه (في سطر آخر) «غير المشروط لفلسطين وخيار المقاومة»، لا يُصادَف شاهدٌ واحدٌ في النص على ما قد يسوّغ نسبة الاتحاد إلى نفسه تلك الصفة. وعندما «يثمّن» مؤتمر الاتحاد «جهود دولة جنوب أفريقيا أمام محكمة العدل الدولية»، و«يرحّب باعتراف كل من إسبانيا وأيرلندا والنرويج وسلوفينيا بالدولة الفلسطينية»، ويدعو بقية الدول لتحذو حذوها في دعم الحقّ الفلسطيني». وعندما يقرّر «تجديد تأكيد دعم الحقوق التاريخية لمصر والسودان في مياه نهر النيل، الدعوة إلى إعلاء مصلحة السودان والحفاظ على وحدة أراضيه وسلامة شعبه، رفض كل أشكال الاعتداء على الأراضي اللبنانية والسورية أو التدخّل في الشؤون الليبية أو اليمنية أو العراقية، ويدعو إلى الحفاظ على كل من هذه الدول موحّدة مستقلّة»، فإنك ستتفق مع هذا كله، غير أن سؤالاً قد يطرأ من فيسبوك» «أصبح العراق رسمياً ثالث دولة في العالم، من بين 195 دولة على كوكب الأرض، ليس فيه (يوم وطني) يتعلّق باستقلال الدولة أو بتأسيسها. المملكة البريطانية المتّحدة ودولة الدنمارك، والآن العراق، هي الدول الثلاث فقط، من بين كلّ دول العالم ليس فيها يوم وطني». على الرغم من الفهم العام للأسباب التي دعت إلى إقرار عيد الغدير، وأنّه مُجرّد مزايدات سياسية (شيعية) ما بين التيّار الصدري والإطار التنسيقي الشيعي الحاكم، فإنّه ليس من المفهوم لماذا ألغِيَ عيد تأسيس الجمهورية، أو لماذا لم يتم إقرار يوم وطني للعراق.

وبالعودة إلى بداية هذا المقال؛ فإنّه كما كان مصطفى كمال باشا أبا الأتراك المعاصرين (أتاتورك)، وجاء ذلك ضمن ظروف مُعقّدة واستثنائية، فإنّ فيصل الأول هو أبو العراق. ومن المعيب تجاهل تراثه وشخصيته الرمزية من كيان الدولة العراقية الحديثة، بغضّ النظر عن موقفنا من النظام الملكي وأخطائه ومشاكله.

لقد تشكّلت طبقة الضبّاط الانقلابيين في حاضنة النظام الملكي، الذي أسسه فيصل الأول، وما كان لهؤلاء الانقلابيين أن يكونوا ما كانوا عليه لولا هذا النظام، ولبقوا أقرب إلى جذورهم الاجتماعية الفلّاحية، ولعملوا في وظائف آبائهم وأجدادهم.

وهنا نرجع مرّة أخرى إلى أتاتورك، ولكن، من زاوية أخرى، فأقول: إن أتاتورك يتحمّل، من دون أن يقصد ذلك، جناية ما حصل في العراق ومصر وبلدان أخرى في العالم العربي، فالسابر غير الذي اختطّه، منذ بداياته الهاشمية حتّى تحوّله رمزاً وطنياً تركياً مُشعاً، أثّر في شخصية الضبّاط في العالم العربي، وتخيّلوا أنفسهم أتم يستطيعون السير في المسار ذاته. وهذا موضوع طويل يحتمل الحديث عنه في مناسبة أخرى بتفصيل أكثر.

لقد كوّن فيصل بن الحسين شخصيته وسمعته مقاتلاً وقائداً لجيش الشمال في الثورة العربية الكبرى، وكان الطاقم السياسي الأول الذي رافقه إلى الديار العراقية من الضبّاط؛ نحو جعفر العسكري ونوري السعيد ومولود مخلص، وآخرين. ولكنّهم تحوّلوا جميعاً إلى العمل السياسي، وتركوا بعد العسكر. وأثبتوا كفاءة في الميدانين (كما مصطفى كمال أتاتورك). ولكنّ العادلة التي حكمت هذا المسار تبقى معادلة خاصّة لا يمكن أن نتوقّع أن تتكرّر دائماً. لست متأسّفاً على حذف عيد الجمهورية، رغم أنّي لا أعرف الأسباب، حتّى الآن، وأتمنى إقرار يوم وطني مرتبط بتولّي فيصل الأول عرش العراق، أو دخول العراق عصبة الأمم في 1932، ليكون ثاني دولة عربية، بعد الكويت، تحصل على هذا الامتياز.

إلغاء عيد الجمهورية في العراق

احمد سعداوي

يورد علي عبد الأمير علاّوي في البيلوغرافيا التي كتبها عن الملك فيصل الأول (ملك العراق)، حادثةً عن تماسّ حصل بين جيش الأمير فيصل (في وقتها) والفرقة العثمانية التي كان يقودها مصطفى كمال باشا (أتاتورك لاحقاً)، في شمالي سورية عام 1918، وأنّ أتاتورك كان على وشك أن يقع أسيراً في أيدي قوات فيصل، لولا أنّه استطاع الانسحاب بمالاً. ثمّ ليكون لاحقاً ما صار عليه من شهرة ومجد.

يلتقي الرجلان في مسألة، ربما كانا يدركان أنّهما مُشتركان فيها أو لا: هي ضرورة انفصال أرض العرب عن أرض الترك، وكان مشروعاهما، لاحقاً، يتوازيان، ويذهبان في هذا التصوّر القومي إلى منتهاه. تذكّرتُ الرجلَين وأنا أتابع صدى إقرار مشروع قانون الأعياد والمناسبات في العراق، الذي أدخل للمرّة الأولى في تاريخ العراق عيد الغدير الإشكالي، مناسبة وطنية، والغي، في جانب آخر، يوم 14 من تموز عيداً وطنياً. وهو اليوم الذي جرى فيه إسقاط النظام الملكي في العراق في 1958، وإعلان ولادة الجمهورية. وإذ ذهبت كثيرٌ من التداعيات والأصداء للتعليق على عيد الغدير، فإنّ تعليقات أخرى احتجّت على إلغاء عيد الجمهورية العراقية، وكان هناك فريقٌ ثالث، أنضامن معه، قد تعجّب من عدم إقرار عيد وطني للعراق.

كتب الأستاذ العراقي في جامعة أريزونا الأميركية، سليم سوزة، متهكّماً بصفحته في «فيسبوك» «أصبح العراق رسمياً ثالث دولة في العالم، من بين 195 دولة على كوكب الأرض، ليس فيه (يوم وطني) يتعلّق باستقلال الدولة أو بتأسيسها. المملكة البريطانية المتّحدة ودولة الدنمارك، والآن العراق، هي الدول الثلاث فقط، من بين كلّ دول العالم ليس فيها يوم وطني». على الرغم من الفهم العام للأسباب التي دعت إلى إقرار عيد الغدير، وأنّه مُجرّد مزايدات سياسية (شيعية) ما بين التيّار الصدري والإطار التنسيقي الشيعي الحاكم، فإنّه ليس من المفهوم لماذا أُلغِيَ عيد تأسيس الجمهورية، أو لماذا لم يتم إقرار يوم وطني للعراق.

وبالعودة إلى بداية هذا المقال؛ فإنّه كما كان مصطفى كمال باشا أبا الأتراك المعاصرين (أتاتورك)، وجاء ذلك ضمن ظروف مُعقّدة واستثنائية، فإنّ فيصل الأول هو أبو العراق. ومن المعيب تجاهل تراثه وشخصيته الرمزية من كيان الدولة العراقية الحديثة، بغضّ النظر عن موقفنا من النظام الملكي وأخطائه ومشاكله.

لقد تشكّلت طبقة الضبّاط الانقلابيين في حاضنة النظام الملكي، الذي أسسه فيصل الأول، وما كان لهؤلاء الانقلابيين أن يكونوا ما كانوا عليه لولا هذا النظام، ولبقوا أقرب إلى جذورهم الاجتماعية الفلّاحية، ولعملوا في وظائف آبائهم وأجدادهم.

وهنا نرجع مرّة أخرى إلى أتاتورك، ولكن، من زاوية أخرى، فأقول: إن أتاتورك يتحمّل، من دون أن يقصد ذلك، جناية ما حصل في العراق ومصر وبلدان أخرى في العالم العربي، فالسابر الذي اختطّه، منذ بداياته الهاشمية حتّى تحوّله رمزاً وطنياً تركياً مُشعاً، أثّر في شخصية الضبّاط في العالم العربي، وتخيّلوا أنفسهم أنّهم يستطيعون السير في المسار ذاته. وهذا موضوع طويل يحتمل الحديث عنه في مناسبة أخرى بتفصيل أكثر.

لقد كوّن فيصل بن الحسين شخصيته وسمعته مقاتلاً وقائداً لجيش الشمال في الثورة العربية الكبرى، وكان الطاقم السياسي الأول الذي رافقه إلى الديار العراقية من الضبّاط؛ نحو جعفر العسكري ونوري السعيد ومولود مخلص، وآخرين. ولكنّهم تحوّلوا جميعاً إلى العمل السياسي، وتركوا بعد العسكر. وأثبتوا كفاءة في الميدانين (كما مصطفى كمال أتاتورك). ولكنّ العادلة التي حكمت هذا المسار تبقى معادلة خاصّة لا يمكن أن نتوقّع أن تتكرّر دائماً. لست متأسّفاً على حذف عيد الجمهورية، رغم أنّي لا أعرف الأسباب، حتّى الآن، وأتمنى إقرار يوم وطني مرتبط بتولّي فيصل الأول عرش العراق، أو دخول العراق عصبة الأمم في 1932، ليكون ثاني دولة عربية، بعد الكويت، تحصل على هذا الامتياز.

إيران في سورية مجدّداً

عبير نصر

بالتمعّن مليّاً في خريطة الشرق الأوسط، وأذرع إيران المُتغلغلة فيه، بالتوازي مع سعيها الحثيث إلى تحويل دول محيطها الحيوي أطرافاً مهمّشة بلا ذاكرة أو تاريخ تخدم المركز؛ طهران، بغضّ النظر عن حجم استقلال هذه الدول وقوّة حكوماتها، نجد أنّ إيران استثمرت كسرطان خبيث داخل المنطقة العربية، بعدما نجحت في تأسيس ممدّات مذهبية وشبكات عملاء لها، خلايا نائمة، مقابل أموال ضخمة ووعود بالمناصب الحساسة، أو مقابل حماية العروش الاستبدادية، كما في سورية، التي غدت الصورة الأعتم لمآلات التدخّل الإيراني السافر في المنطقة، بعد تعاظم شبكة العلاقات الإيرانية الخيطية مع نظام الأسد إثر انشغاله الانفعالي الكبير بالمُتغيّرات السياسية والظروف الإقليمية الضاغطة. يلزم الإلحاح على هذه السردية عبر تشابك مساراتها المتوافية مع مدلولات الواقع السوري المأزوم، على اعتبار أنّ إيران تتوهّم أنّها سيطرت على القلب الاستراتيجي لسورية، والدليل أنّ قائد مقرّ «عمار» للحروب الناعمة التابعة للحرس الثوري، مهدي طائب، قد ألحقها بالجغرافيا الإيرانية، واعتبرها المحافظة رقم 35، بعدما تمّ الانتقال، وبسلاسة مريبة، من التدخّل الناعم إلى التحصّن الاستراتيجي، ما يفرض جزئية محورية في السياق، وهي استحالة فصل سياسة إيران تجاه سورية عن مجمل رؤيتها للمنطقة العربية، ولا يبدو واقع وفاة إبراهيم رئيسي قوياً بما يكفي لإثارة أيّ طاقة تغييرية، رغم أنّه من أكثر المؤمنين بمشروع إيران التوسّعي، ولذا، كان يُعدّ لخلافة المُرشد الأعلى، القاطرة الإيرانية ستسير حكماً، وعليه ليس من عجائب الصدف أنّ السياسة العميقة لإيران لم تكُن يوماً في يد من يتولّى سدّة الرئاسة، التي وصفها الرئيس الأسبق محمد خاتمي نجد أنّ إيران استثمرت كسرطان خبيث داخل المنطقة العربية، بعدما نجحت في تأسيس ممدّات مذهبية وشبكات عملاء لها، خلايا نائمة، مقابل أموال ضخمة ووعود بالمناصب الحساسة، أو مقابل حماية العروش الاستبدادية، كما في سورية، التي غدت الصورة الأعتم لمآلات التدخّل الإيراني السافر في المنطقة، بعد تعاظم شبكة العلاقات الإيرانية الخيطية مع نظام الأسد إثر انشغاله الانفعالي الكبير بالمُتغيّرات السياسية والظروف الإقليمية الضاغطة. يلزم الإلحاح على هذه السردية عبر تشابك مساراتها المتوافية مع مدلولات الواقع السوري المأزوم، على اعتبار أنّ إيران تتوهّم أنّها سيطرت على القلب الاستراتيجي لسورية، والدليل أنّ قائد مقرّ «عمار» للحروب الناعمة التابعة للحرس الثوري، مهدي طائب، قد ألحقها بالجغرافيا الإيرانية، واعتبرها المحافظة رقم 35، بعدما تمّ الانتقال، وبسلاسة مريبة، من التدخّل الناعم إلى التحصّن الاستراتيجي، ما يفرض جزئية محورية في السياق، وهي استحالة فصل سياسة إيران تجاه سورية عن مجمل رؤيتها للمنطقة العربية، ولا يبدو واقع وفاة إبراهيم رئيسي قوياً بما يكفي لإثارة أيّ طاقة تغييرية، رغم أنّه من أكثر المؤمنين بمشروع إيران التوسّعي، ولذا، كان يُعدّ لخلافة المُرشد الأعلى، القاطرة الإيرانية ستسير حكماً، وعليه ليس من عجائب الصدف أنّ السياسة العميقة لإيران لم تكُن يوماً في يد من يتولّى سدّة الرئاسة، التي وصفها الرئيس الأسبق محمد خاتمي نجد أنّ إيران استثمرت كسرطان خبيث داخل المنطقة العربية، بعدما نجحت في تأسيس ممدّات مذهبية وشبكات عملاء لها، خلايا نائمة، مقابل أموال ضخمة ووعود بالمناصب الحساسة، أو مقابل حماية العروش الاستبدادية، كما في سورية، التي غدت الصورة الأعتم لمآلات التدخّل الإيراني السافر في المنطقة، بعد تعاظم شبكة العلاقات الإيرانية الخيطية مع نظام الأسد إثر انشغاله الانفعالي الكبير بالمُتغيّرات السياسية والظروف الإقليمية الضاغطة. يلزم الإلحاح على هذه السردية عبر تشابك مساراتها المتوافية مع مدلولات الواقع السوري المأزوم، على اعتبار أنّ إيران تتوهّم أنّها سيطرت على القلب الاستراتيجي لسورية، والدليل أنّ قائد مقرّ «عمار» للحروب الناعمة التابعة للحرس الثوري، مهدي طائب، قد ألحقها بالجغرافيا الإيرانية، واعتبرها المحافظة رقم 35، بعدما تمّ الانتقال، وبسلاسة مريبة، من التدخّل الناعم إلى التحصّن الاستراتيجي، ما يفرض جزئية محورية في السياق، وهي استحالة فصل سياسة إيران تجاه سورية عن مجمل رؤيتها للمنطقة العربية، ولا يبدو واقع وفاة

> المُستجدّ الطارئ الأبرز أنّ الأسد سوف يرتاح، نسبياً، من الضغوط الإيرانية في انتظار سياسةٍ إيرانية جديدة مع الرئيس القادم

انتظار سياسةٍ إيرانية جديدة مع الرئيس القادم، وهو أمر يمكن الرهان عليه، كما يتوهّم الأسد، لا سيّما وأنّ المُرشد الأعلى علي خامنئي، ويبموت رئيسي، يكون قد فقدَ أبرز أذرعه في مشروعه السياسي، الداخلي والخارجي.

علاوة على ذلك، فزيادة التوتّرات بين إيران والأسد أشبه بنزعةٍ انعزالية وعدائية تُبقي سورية ساحةً ملتهبةً لصراعات القوى الإقليمية، ما يُقوّض إمكانية تحقيق التعافي المُبكّر على خلفية التحالفات الدولية المُتغيّرة والاستراتيجيات الجيوسياسية، ولعلّ أبرز ملامح هذا التوتّر صدور قرار أمني من النظام السوري لجهة فرض قيود، وُصفت بـ«الصارمة»، على الزوار «الأجانب» إلى المسجد الأموي بدمشق، ومنْع الوفود من ممارسة الطقوس الدينية، وشمل التعميم الدبلوماسيين ورجال الدين من الطائفة الشيعية، وضرورة حصولهم على موافقات عبر البعثات الدبلوماسية لبلدانهم قبل الزيارة. ويبدو أنّ التوتّر يقترب حثيثاً من أن يُترجَم في أرض الواقع، في انتظار مكاسب مستقبلية مع إمكانية تغيّر في السياسة الأميركية، بحكم الاستحقاقات الانتخابية القادمة، التي قد تفرز إدارةً حازمةً تعيد سياسة الضغط الأقصى على إيران بدل الاحتواء.

في هذا الصدد فإنّ أحداً لا يستطيع أن يتجاهل التعقيدات الكامنة في صميم العلاقة الإشكالية بين إيران وسورية، فالمشروع التوسعي المشبوه لنظام ولاية الفقيه أكثر بُعداً من طقوس اللطميات السياسية، بعد موقف «الحياد»، الذي اتخذته دمشق تجاه حرب غزّة، لتستدرج عروض القمم العربية مكافأةً على موقف الناي بالنفس، وعدم فتح جبهة الجولان، وهو أمر لا تقبل به إيران، يزيد الطين بلّة شكوك الأخيرة بتورّط أجهزة أمن سورية في تسريب معلومات بشأن تحرّكات ضبّاطها، إضافة إلى قلقها من تجاوب دمشق مع مُؤشّرات لانفتاح عربي، ومع رغبةٍ عميقةٍ بالخروج من عنق الزجاجة الإيرانية. هي التي طالما رأت، والقصد إيران، أنّ عودة سورية إلى الحضن العربي بمثابة انتصار لشرعية الأسد، وتأكيدٍ لأهمية محور المقاومة الذي تقوده، ويفوتها أنّ القرار ليس إلا تدشيناً لزمنٍ المعالجات السياسية، والحلول غير الكارثية، واعترافاً بالحقائق الجيوسياسية، التي لا مفرّ منها، والتي شكّلتها قبضة الأسد على السلطة، حتّى اليوم.

والحال هكذا، فإنّ العالم برمّته وطّن نفسه على استغلال بُؤر التوتّر والنزاع وابتزازها إلى حدّ الاستنزاف. هذا هو الأفق الذي تنفتح عليه الذهنية الفارسية الاستعمارية، إذ سرّبت الرئاسة الإيرانية وثيقة كشفت فيها أنّ طهران صرفت خمسين مليار دولار على الحرب السورية، وفي مدى عقد كامل، في إشارة إلى أنّ التحالف الاستراتيجي بين سورية وإيران لن يُخلع من جذوره بسهولة، رغم أنّهما يفترقان في أمور كثيرة منها العائدات الاقتصادية والأمنية للتدخّل الإيراني العسكري، ورغم تراجع وهج «المحاباة» والبكائيات المُحزنة المُطربة، وهو القائم على استغلال بُؤر التوتّر والنزاع وابتزازها إلى حدّ الاستنزاف. هذا هو الأفق الذي تنفتح عليه الذهنية الفارسية الاستعمارية، إذ سرّبت الرئاسة الإيرانية وثيقة كشفت فيها أنّ طهران صرفت خمسين مليار دولار على الحرب السورية، وفي مدى عقد كامل، في إشارة إلى أنّ التحالف الاستراتيجي بين سورية وإيران لن يُخلع من جذوره بسهولة، رغم أنّهما يفترقان في أمور كثيرة منها العائدات الاقتصادية والأمنية للتدخّل الإيراني العسكري، ورغم تراجع وهج «المحاباة» والبكائيات المُحزنة المُطربة، وهو القائم على استغلال بُؤر التوتّر والنزاع وابتزازها إلى حدّ الاستنزاف. هذا هو الأفق الذي تنفتح عليه الذهنية الفارسية الاستعمارية، إذ سرّبت الرئاسة الإيرانية وثيقة كشفت فيها أنّ طهران صرفت خمسين مليار دولار على الحرب السورية، وفي مدى عقد كامل، في إشارة إلى أنّ التحالف الاستراتيجي بين سورية وإيران لن يُخلع من جذوره بسهولة، رغم أنّهما يفترقان في أمور كثيرة منها العائدات الاقتصادية والأمنية للتدخّل الإيراني العسكري، ورغم تراجع وهج «المحاباة»

> المُستجدّ الطارئ الأبرز أنّ الأسد سوف يرتاح، نسبياً، من الضغوط الإيرانية في انتظار سياسةٍ إيرانية جديدة مع الرئيس القادم

حكم الساحة يطلق صافرة النهاية

عيسى الشعيبي

بعد تسويف نحو أربعة أشهر، مُدّد البيت الأبيض بشحمه ولحمه، حامي حمى الدولة العبرية بالباع والذراع، يُطلق، بعد لأيٍ شديد، صافرة النهاية، ويعلن، بعظمة لسانه، أنّ الوقت قد حان لاختتام المقابلة الوحشية، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من حطام الدولة المعزولة المنهكة، وذلك، بعد أنْ رأى جو بايدن، بأمّ عينه، أنّ الفريق الذي منحه الدعم والعتاد، والوقت اللازم لهزّ الشبكة، وعوّل عليه كثيراً لإعادة ترميم الصورة المكسورة، واستعادة هيبة الردع، قد فوّت الفرصة، وراح يراوح في مكان، وغاص في رمال غزّة. بكلام آخر، لقد استنفدت الحرب على غزّة أغراضها، وفقدت زخمها، حتّى وإن راوغ المطلوب لمحكمة الجنايات الدولية وكابر لبعض الوقت، وتفلّت من نتيجتها المكتوبة بالخط الأحمر على الحائط الممتدّ من إصبع الجليل إلى رفح، وهي أنّ غزّة الباسلة، وصمود الشعب الفلسطيني ومقاومته الأسطورية، قد ربحوا الحرب، أبى من أبى، وأنّهم صنعوا بلحمهم الحيّ، بتضحياتهم الهائلة، بعذاباتهم الشديدة، ملحمة العصر بكلّ جدارة، حقّقوا المعجزة شبه المستحيلة، غيّروا وجه الشرق الأوسط، فرضوا أنفسهم حقيقةً نهائيةً، وجعلوا من الكوفية والعلم الفلسطيني، معاً، أيقونة لدى الرأي العام الغربي والحركة الطلابية العالمية.

من غير حماسةٍ زائدة، أو انجراف وراء الفكر الرغائبية، أحسب أنّ هذا المكسب بوقف الحرب المجنونة، المُتحقّق بثمن باهظ جداً، سيّما وأنّ المقاومة لا تزال واقفة على رجليها، يُعدّ في حدّ ذاته هزيمةً للاحتلال، وأنّ هذا الإنجاز، الذي يشارف ضفاف نصر تاريخي مُستحقّ، لن يتوقّف عند حدود وقف الحرب الإجرامية، لما تنطوي عليه هذه المُعطيات من مغزى، وما تطلقه من ديناميات مرتقبة في المدى المنظور، وأهمّها تحرير مئات القادة وآلاف الكوادر من الحركة الأسيرة، ناهيك عن تسريع مفاعيل هذه التغيّرات على الواقع المأزوم في الجانب الآخر، بما في ذلك مُركّبات الوعي والرواية والمفاهيم والسردية، وكلّ ما استقر في تلك العقلية المسكونة بالعجرفة وبالفكر الفاشية.

قد نرى عمّا قريب العجبَ العجاب في المجتمع المصاب، منذ طوفان الأقصى، بالهستيريا، وقد نستمتع بمشاهدة حفلة مشاتَمات وتمزقات ولوم وردّات فعل ماجنة، يشارك فيها أولئك المجانين، الذين استولوا على المصحّة العقلية قبل نحو عام وأكثر، حين رفعوا قطعان الجنائين المطلوبين للقضاء: اللصوص وزعران التلال والأوباش والكاهانيين إلى سدّة الحكم، من أمثال بن غفير وسموتريتش، والنوّاب الذين قدّم أحدهم طلباً إلى الشرطة لاعتقال بايدن حال وصوله مالِي طار اللدّ، لأنّه أذاع مشروع وقف إطلاق النار قبل أن تجيز نشره الرقابة العسكرية.

الأستاذ محروس ننّس

محمد طلبة رضوان

هل يمكن مقاربة الشأن المصري، الآن، من دون اللجوء إلى الكوميديا السوداء، كذب المُحلّلون ولو صدقوا، أيّ تحليل من دون معلومات؟ وأيّ معلومات من دون شفافية؟ وأيّ شفافية من دون أكفّاء يديرون دولة، لا هواة ومُجرّبون يديرون شبه دولة أو «أيّ حاجة»؟

هل شاهدت فيلم «الكيف» (إنتاج 1985، إخراج علي عبد الخالق)؟... أرجوك! لا تفوّته، وإذا كنت قد شاهدته فشاهده مرّة أخرى، وفي بدء ورقة وقلم لكتابة ملاحظاتك. قد يُؤخذ على الفيلم بعض الوطنيّة، خاصّة في نهايته، كما أنّ شريط الصوت ليس جيداً، لكنّه «سينما». كما يقول الكتّاب، كما أنّ مشاهدته الآن تضمن لك المُتعة، والتعرّف إلى المجتمع المصري في الثمانينيات، ومعرفة ما جرى له، في عهدي أنور السادات وحسني مبارك، ثم الأستاذ «محروس ننّس»، وهنا بيت القصيد، فالأستاذ محروس (لا يجوز لك أبداً نطق اسمه مُجرّداً)، هو شخصية العصر في مصر، رصدها السينارييست محمود أبو زيد في الثمانينيات، حين كانت في بدايات التشكّل والظهور، والانتشار، وقبل أن يتحوّل الأستاذ ننّس إلى القاعدة وكلّ ما سواه استثناء، ليس استثناءً فحسب، وإنّما استثناء غير وطني، ومتآمر على مصر، في حديث الدعاية السياسية، واستثناء مثير للشبهات ومروّج الإلحاد، في حديث الدعاية الدينية. فإمّا أن يكون المصري الأستاذ محروس ننّس، أو لا يكون. وأهم صفات الأستاذ محروس ثقته في نفسه، وفي عبوسه، وفي نظّارته، وفي كلماته، وأفكاره، وأشعاره، ومكانته، وإسهاماته. شخصية «ننّس»، في «الكيف»، شاعر غنائي، في زمن انحطاط الأغنية، يقدّم نفسه باعتباره مختلفاً، حقيقياً، ليس من هؤلاء، الذين يكتبون «أيّ كلام»، إذا جلس ليقرأ أشعاره، استغرق الأمر دقائق، قبل أن يبدأ، فالموضوع كبير، يفتح حقيبته، يُخرج أوراقه، يضع نظّارته، يعتدل في جلسته، يتقمّص نفسه، ثم يقول: «يا صبر صبصب قلوب الصبايا المتصابين/ وصوب صبابك على الصبايا المصبصبين/ يا صابر الصبر/ صبّرنا بصبر المصبرين». يكتشف الشاهد أنّ الأستاذ محروس لا هو أستاذ ولا هو محروس، وأنّه «أراجوز»، مثل غيره، لكنّه يُفاجَأ بأنّ المطرب مزاجنجي (محمود عبد العزيز) يرفض الأستاذ ننّس لسبب آخر، وهو أنّه عميق زيادة عن اللزوم، فيما يريد مزاجنجي أن يُغنّي كلمات تافهةً لينجح. هنا، تكتمل المأساة. مأساة البلد، ونخبها، وفنّانيها، ومن يعيشون فيها، ولا يسعهم إلا أن يكونوا «ننّس»، وإلا...

يساعدك ننّس في فهم كلّ ما تراه على الشاشات المصرية. في الخطابات السياسية، ننّس هو البطل، هو الدليل، هو المُنقذ. في الجدالات الدينية وأفلام معي أداءات التنويريين والتراثيين، مركز تكوين وتحصين وأزهارة الفضائيات ويوتيوب ووغاظ السوشيال ميديا، راقب جيداً، ولا تنخدع مثل مزاجنجي، وستكتشف أنّ هؤلاء جميعاً أبناء «ننّس». ثقة الباحثة التنويرية المُتخصّصة في السيرة النبوية، وهي تتحدّث عن ولَدَي السيدة خديجة، هند وهالة، الذكور، باعتبارهما إناثاً، ليس ثقتها في الخطأ الذي يدلّل أنّها لم تقرأ كتاباً واحداً في السيرة، إنّما ثقتها في حديثها عن أنها «مُتخصّصة»، هي في ثقة الأستاذ ننّس، وهو يدّعي أنّ مطراً كبيراً يلاحقه، ويوشك أن يموت لهفةً ليحصل على أغنيته. ثقة أسامة الأزهري وهو يطلب مناظرة كلّ أعضاء «تكوين» ومعهم زاهي حواس، فوق البيعة. لن تذكّرك سوى بـ «ننّس»، وهو يطلب آلاف الجنيهات ثمناً لكلماته. كلام يوسف زيدان وفراس السواح عن طه حسين، شرح الكتائب الإلكترونية لفوائد غلاء الأسعار، وقطع الكهرباء، ورفع الدعم، تحليلات سمير راغب وعماد جاد مع عمرو أديب، خطابات «الوطنجية» في حبّ مصر والجيش، وكراهية السودانيين و«اللاجئين» سبب خراب البلد.

تقول الأسطورة إنّ كلّ شيء في مصر كان يشبه جمال عبد الناصر، في زمانه، فإذا مددنا خطّ الشر على استقامته، فربّما فهمنا لماذا يشبه كلّ شيء في مصر، الآن، الأستاذ محروس ننّس.

هل تغيّر فعلاً موقف أردوغان من الملفّ الفلسطيني؟

محمد أبو رمان

يثير موقف الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان من الحرب الإسرائيلية على غزّة أسئلة وتساؤلات عديدة، فبما إذا كان خطاب الرجل قد تغيّر، وإنْ ردّات فعله أقلّ من المطلوب ومن مستوى الحدث، وما عُهد عنه، بخاصّة عند وقفته المشهورة (2009) في مؤتمر دافوس ضدّ الرئيس الإسرائيلي، حينها، شمعون بيريز، أم أنّ المسألة لم تتجاوز التأخّر بعض الوقت في هضم ما حدث واستيعاب ردّات الفعل الدولية والغربية، إذ بدأ (أردوغان) مباشرة، وفي نهاية شهر أكتوبر/ تشرين الأول (2023) بتوجيه انتقادات حادّة لإسرائيل ولحربها على غزّة؟

المزاج العام تعكسه استطلاعات الرأي ومواقع التواصل الاجتماعي، فبعدما كان أردوغان يُمثّل لملايين العرب والمسلمين قائداً يمتلك شعبيةً جارفة قبل السابع من أكتوبر (2023)، وتتصدّر تركيا الدول التي يُؤيّد الجمهور العربي سياساتها تجاه المنطقة العربية، وفقاً لأرقام «المُؤشّر العربي»، فقد سقطت شعبيته بصورة ملحوظة إلى أقلّ من النصف عند من كانوا يرون موقف تركيا جيّداً أو جيّداً جدّاً. وفي المقابل، تمكّنت إيران التي واجهت هبوطاً هائلاً في شعبيتها خلال الحرب على سورية من استعاداتها، ومَنْحَها الرأي العام العربي رقماً مشابهاً للرقم التركي في الموقف من الحرب على غزّة، ما يعكس تحسّناً في مزاج الشارع العربي تجاه إيران وتراجعاً تجاه تركيا.

ذهبت تحليلاتٌ إلى أبعد من ذلك، عندما عزت خسارة حزب العدالة والتنمية بلديات كُبرى، وتراجع شعبيته في الانتخابات المحلّية، هنا، إلى موقفه من الحرب على غزّة، الذي يبدو أنه لم يرُق لغليل الجمهور «المحافظ» في تركيا، إذ ترى التحليلات نفسها أنّ حزب الرفاه الجديد، بقيادة نجل فاتح نجم الدين أربكان، قد استثمر خصوم الحزب، مثل رئيس الوزراء ووزير الخارجية السابق، أحمد داود أوغلو، فيما حدث ووجه انتقادات حادّة لأردوغان وموقفه «الضعيف»، كما راه أوغلو، في موضوع غزّة. لكن السؤال الذي يُطرح بصورة واقعية ومنطقية: ما الذي كان يمكن أن يقوم به أردوغان، وفقاً لرأي منتقديه، ولم يفعله؟ هل كان المطلوب تحرّكاً عسكرياً (أمر أظنّه مستبعداً إلى أقصى مدى)، هل هو تحرّك دبلوماسي أكثر تصعيداً... لقد نعت أردوغان نتنياهو وحكومته بأكثر النعوت قسوة، وشبّههم بالنازيين ومجرمي الحرب والسفّاحين، ووصف ما يحدث بأنّه حرب الصليب على الهلال، وانتقد بشدّة تعاطي الغرب مع حرب الإبادة في غزّة، وطالب حكومته بعقوبات اقتصادية على إسرائيل، وتبادل الطرفان، التركي والإسرائيلي، الاتهامات الشديدة، وتعهّد نتنياهو بمعاقبة تركيا، فهل كان يمكن أن نتوقّع أكثر من هذه الإجراءات؟... ربما الشيء الوحيد، الذي يجده خصوم الرجل، أنّ ردّة فعله تأخّرت قليلاً في التفاعل مع عملية السابع من أكتوبر، وبدت التصريحات الأولية متحفّظة إلى درجةٍ ما، ثمّ تدرّجت عن إعلان قمّة جدة، والتأكيد على ضرورة إنهاء الأزمة السورية بما ينسجم مع قرار مجلس الأمن 2254 (دعا إلى تشكيل حكومة انتقالية وإلى انتخابات برعاية أممية، مطالباً بوقف أيّ هجمات ضدّ المدنيين بشكل فوري). وكي لا يعدو مُجرّد تقديرات عبثية أو تخمينات بمعطيات ناقصة، يُمكن تفسير الموقف العربي حيال عدم منح الأسد كلمة، وحرمانه من استضافة القمّة القادمة، بمحاصرته سياسياً، والضغط عليه، تحديداً فيما يتعلق بوقف تمدّد إيران في سورية بما يضمن تحجيم نفوذها في المنطقة.

نأفل القول، الرعونة التي تعاني منها القيادة الإيرانية ستدفعها للذهاب بعيداً في لعبة الاستنزاف، بينما الانتصار الوحيد لها يتمثّل في الاختراق الكامل للنظام السوري، وتحويله مجرّد كيان إيراني داخلي، بحجّة أنّ «سورية هي الخطّ الأمامي للدفاع عن الأمة الإسلامية»، وهي جملةٌ ردّدها الرئيس الإيراني الأسبق أحمدي نجاد مراراً وتكراراً. وعليه، ثمّة مفاجآت مُنتظرة ستطاول الشأن السوري بالتزامن مع إصابة أسماء الأسد بمرض السرطان، وانكفائها عن المشهد العام، إذ سبق وأكّدت الولايات المتّحدة أنّ الأخيرة لطالما عرقلت الجهود المبذولة للتوصّل إلى حلّ سياسي، وعملت عبر منظّماتها غير الحكومية على بناء شبكة محسوبية واسعة تبيّ سموم عائلة الأسد، ليرزح السوريون بين سرطانَين، الإيراني والأسدي على حدّ سواء.

(كاتبة سورية)

> المُستجدّ الطارئ الأبرز أنّ الأسد سوف يرتاح، نسبياً، من الضغوط الإيرانية في انتظار سياسةٍ إيرانية جديدة مع الرئيس القادم

والحال هكذا، فإنّ العالم برمّته وطّن نفسه على استغلال بُؤر التوتّر والنزاع وابتزازها إلى حدّ الاستنزاف. هذا هو الأفق الذي تنفتح عليه الذهنية الفارسية الاستعمارية، إذ سرّبت الرئاسة الإيرانية وثيقة كشفت فيها أنّ طهران صرفت خمسين مليار دولار على الحرب السورية، وفي مدى عقد كامل، في إشارة إلى أنّ التحالف الاستراتيجي بين سورية وإيران لن يُخلع من جذوره بسهولة، رغم أنّهما يفترقان في أمور كثيرة منها العائدات الاقتصادية والأمنية للتدخّل الإيراني العسكري، ورغم تراجع وهج «المحاباة» والبكائيات المُحزنة المُطربة، وهو القائم على استغلال بُؤر التوتّر والنزاع وابتزازها إلى حدّ الاستنزاف. هذا هو الأفق الذي تنفتح عليه الذهنية الفارسية الاستعمارية، إذ سرّبت الرئاسة الإيرانية وثيقة كشفت فيها أنّ طهران صرفت خمسين مليار دولار على الحرب السورية، وفي مدى عقد كامل، في إشارة إلى أنّ التحالف الاستراتيجي بين سورية وإيران لن يُخلع من جذوره بسهولة، رغم أنّهما يفترقان في أمور كثيرة منها العائدات الاقتصادية والأمنية للتدخّل الإيراني العسكري، ورغم تراجع وهج «المحاباة» والبكائيات المُحزنة المُطربة، وهو القائم على استغلال بُؤر التوتّر والنزاع وابتزازها إلى حدّ الاستنزاف. هذا هو الأفق الذي تنفتح عليه الذهنية الفارسية الاستعمارية، إذ سرّبت الرئاسة الإ

العرب وسياسات الخوف

سمير الزبن

تُبنى السياسة على مصالح وطنية أو طبقية أو فئوية أو طائفية، وقد تكون هناك سياسات عميلة أو محابية لقوى دولية مُؤثّرة، ونجد أنّ السياسات تُبنى على مبرّرات لا حصر لها، والأخلاق ليست واحدة من أسسها، ولكن، في جميع الحالات، لا يمكن أن تجد سياسة تُبنى على الخوف. لأنّ السياسة التي تُبنى على هذا الأساس تفقد مبرّرها بوصفها سياسةً، لا بالمعنى الإيجابي للسياسة فحسب، بل حتّى بالمعنى السلبي لها أيضاً.

تمارس الدول العربية اليوم سياساتها من موقع الخوف، فهي وجدت نفسها بعد تحوّلات أصابت العالم والمنطقة أمام تطوّرات لم تكن في الحسبان، ولم تكن جاهزة للتعامل معها، بدءاً من تفجيرات 11 سبتمبر/ أيلول (2001) في الولايات المتّحدة، مروراً بالاحتلال الأميركي كلّاً من أفغانستان والعراق، ووضعت الولايات المتّحدة دول المنطقة في دائرة الاتهام، في حربها الجديدة ضدّ العدوّ الجديد، الذي خلف العدوّ الشيوعي بعد انهيار الدول الاشتراكية، وهذا العدوّ، كما حدّدته الولايات المتّحدة، هو «الإرهاب الإسلامي»، فوجدت هذه الدول نفسها تحت الضغوط الأميركية، وصولاً إلى ثورات الربيع العربي، التي أسقطت سلطات وهدّدت أخرى، فلم يكن أمام هذه الدول سوى أن تتنصّل من كلّ شيء، وبات الجميع يدير سياساته، حتّى لا يكون في دائرة الاستهداف الأميركي. وإذا كان من حقّ أيّ سلطةٍ سياسيةٍ أن تدير سياسات حذرة في الزمن الصعب، فهناك

> كان يقال، على مدى عقود، إنّ السياسات العربية تتّجه باستمرار نحو الانحدار، لكنّها لم تصل في تاريخها المعاصر إلى الانحدار الذي وصلت إليه أخيراً

فوارق كبيرة بين سياسة الحذر وسياسة الخوف، فسياسة الحذر تقوم على اعتباراتٍ داخليةٍ تأخذ بالاعتبار المتغيّرات العاصفة، بينما تقوم سياسات الخوف على إملاءات خارجية، تجد استجابة لها في السياسات الداخلية.

وما نشاهده اليوم في العالم العربي سياسات خوف أربكت كلّ خطاب سياسي قُطري على حدة، وأربكت بقايا سياسات عربيّة جماعية، فقد طغى القُطري على السياسات الجماعية، وفكّك حتّى إجماعها وإطارها الشكلي في صياغة سياسات عربية موحّدة شكلية (جامعة الدول العربية). وما يمكن لمسه أنّ العرب الذين أُطلق عليهم تعبير «ظاهرة صوتية»، أخذوا، في الآونة الأخيرة، يفقدون حتّى هذه الخاصية السلبية، وبالتالي، يفقدون بقايا السياسة التي تشغل حيّز الساحات السياسة العربية، فقد أطبق الصمت بشأن كلّ القضايا، وبقيت سياسات النفي عن هذه الواقعة أو تلك هي ما يشغل السياسة العربية، ولم يعد أحد يعرف ماذا تريد هذه السياسة أو تلك من إقفال باب السياسة نهائياً، بإغلاقها حتّى باب التعبير اللفظي عن قضايا يُفترض أنّها تمسّ جوهر القضايا العربية. وقد تجلّى ذلك بشكل صارخ في اتفاقات التطبيع مع أسوأ حكومة إسرائيلية، لم تقدّم أيّ تنازل، حتّى شكلي، لدول التطبيع، في المستوى الفلسطيني، التي أقدمت عليها دول عربية مثل الإمارات والبحرين والمغرب، والتي شكّلت انعطافه حادّة في تعريف العدوّ والصديق، وأصبحت إسرائيل أقرب إلى هذه الدول من دول عربية أخرى، واعتبرتها حاميةً لها من مخاطر مُلّحة، مثل التهديد الإيراني دول الخليج.

ومن المفارقات المؤلمة لهذه السياسة أنّ أياً من أصحابها لم يُقدم حتّى على التهديد بإلغاء الاتفاقات مع إسرائيل أو سحب السفير، خلال ثمانية أشهر من توغّل إسرائيل في الدم الفلسطيني في قطاع غزّة، الذي أسفر عن عشرات آلاف القتلى والجرحى، ومئات آلاف اللاجئين في القطاع المُحاصر، حتّى بات كلّ سكان القطاع لاجئين. ليس هذا وحسب، بل هناك سعي أميركي إلى مكافأة إسرائيل على جرائم الإبادة الوحشية المستمرّة في غزّة، من خلال الضغط على السعودية لتوقيع اتفاقات تطبيع مع إسرائيل في هذه الظروف، مقابل الحديث عن مسار سياسي يُؤدّي إلى دولة فلسطينية بلا ملّامح ولا حدود، كلام لذرّ الرماد في العيون، وحتّى هذا «الكرم» الأميركي. السعودي لم تقبله حكومة نتنياهو. رغم ذلك، ربطت الولايات المتحدة أيّ اتفاق دفاعي مع السعودية، والموافقة على مشروع نووي سلمي، بتوقيع المملكة اتفاقات تطبيع مع إسرائيل، ومن دون ذلك، لا اتفاق مع الولايات المتّحدة.

لا يمكن إقفال باب التفاعل مع أحداث دولية مفصلية، والعيش في العزلة، وتحديد مصالح قُطريّة ضيّقة، وكأنّ هذه الدول لا تعيش في الإقليم نفسه، ولا تتأثّر بالصراعات في المنطقة. لقد اختارت دول التطبيع أن تتجاوز الصراع مع إسرائيل، وتتجاوز صراعاً فيه ضحيّةٌ وجلاد، ولتقف مع الجلاد ضدّ الضحية، وألّا ترى الجرائم التي يقوم بها هذا الجلاد في حقّ الفلسطينيين، وكأنّهم شعبٌ من كوكب آخر.

كان يقال، على مدى عقود، إنّ السياسات العربية تتّجه باستمرار نحو الانحدار، ولكنّها لم تصل في تاريخها المعاصر إلى الانحدار الذي وصلت إليه في الآونة الأخيرة، ولأنّ الأسوأ ممكن دائماً، فإنّ هذه السياسات العربية تؤسّس لوضع عربي كارثي لم تشهده المنطقة من قبل. ولطالما كانت هذه السياسات، مجتمعةً ومنفردةً، لا تُعبّر عن متطلّبات المجتمعات العربية وآفاقها المستقبلية، إلا أنّها استطاعت أن تبرّر الدفاع عن مصالحها والحفاظ على مشروعية زائفة، أحياناً مقنعة، وأغلب الأحيان غيرَ مقنعة.

(كاتب فلسطيني في السويد)

في حيثيات الاعترافات بدولة فلسطين

عمر كوش

يدخل اعتراف كلّ من إسبانيا والسويد وأيرلندا بدولة فلسطين في سياق الضغوط الدولية الرامية إلى وقف حرب الإبادة الجماعية، التي تشنّها إسرائيل على الشعب الفلسطيني في قطاع غزّة، منذ ما يقارب الثمانية أشهر، ويضاف إلى مسار دولي متصاعد بدأ مع انتفاضة طلبة في معظم جامعات الولايات المتّحدة وكندا وأوروبا، التي تشي بأنّ ثمّة تغيّرات عميقة في وعي الشباب العالمي المُتعلّم، ثم جاء قرار محكمة العدل الدولية، الذي أمرت فيه إسرائيل أن «توقف فوراً هجومها العسكري، وأيّ عمل آخر في مدينة رفح، قد يفرض على المجتمع الفلسطيني في غزّة ظروفاً معيشية يمكن أن تُؤدّي إلى الإضرار المادّي بها على نحو كلّي أو جزئي، كما أمرت المحكمة إسرائيل بفتح معبر رفح بين مصر وغزّة للسماح بدخول المساعدات الإنسانية، إلى جانب ضمان وصول المُحقّقين في تهمة الإبادة الجماعية. ولا يخرج عن هذا المسار الدولي طلبُ المُدّعي العام للمحكمة الجنائية الدولية، كريم خان، من هيئة المحكمة، إصدار مُذكّرات اعتقال في حقّ كلّ من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، ووزير الأمن يوآف غالانت، إضافة إلى ثلاثة من قادة حركة حماس.

يأتي اعتراف الدول الأوروبية الثلاث الجديدة كي يضاف إلى ثماني دول أوروبية أخرى، سبق أن اعترفت بدولة فلسطين: السويد، التي كانت أول دولة في الاتحاد

> الاعتراف بدولة فلسطين خطوة سياسية، لها رمزيتها الخاصّة، وسيكون لها انعكاسات مُؤثّرة في الساحة السياسية والدولية

الأوروبي تعترف بها في 2014، في حين أنّ كلّاً من بلغاريا والتشيك وهنغاريا وبولندا ورومانيا وسلوفاكيا وقبرص اعترفت بدولة فلسطين قبل انضمام تلك الدول إلى الاتحاد الأوروبي. كما أنّ باقي الدول الأوروبية لا تمانع الاعتراف بدولة فلسطين، ولاسيما دول رئيسية، مثل بريطانيا وفرنسا، اللتين أعلن مسؤولون في حكومتيهما أنّهما تسيران في طريق الاعتراف، بانتظار التوقيت المناسب، فيما تشترط ألمانيا إجراء مفاوضات من أجل حلّ الدولتَين. يضاف إلى ذلك، أنّ كلّاً من فرنسا وإنكلترا امتنعتا، للمرّة الأولى، عن التصويت في شأن عضوية فلسطين الكاملة في الأمم المتّحدة، وذلك، بعكس الولايات المتّحدة التي عارضت منح فلسطين عضويةً كاملةً في الأمم المتحدة. ويصبّ هذا الموقف الفرنسي والإنكليزي في مصلحة زيادة عدد الدول التي تعترف بدولة فلسطين، وبما يعطي دفعة جديدة للجهود العربية والدولية الساعية إلى إرساء حلّ الدولتَين، وتقوية الضغط الدولي على إسرائيل من أجل إيقاف حربها العدوانية على قطاع غزّة.

يكتسي اعتراف كلّ من إسبانيا والنرويج بدولة فلسطين أهميّة خاصّة، لأنّ له دلالات معينّة في تطورات الصراع الفلسطيني مع إسرائيل، إذ استضافت العاصمة مدريد في مطلع تسعينيات القرن الماضي مفاوضات السلام بين الطرفَين الفلسطيني والإسرائيلي، فيما احتضنت العاصمة النرويجية أوسلو، مفاوضات سرّية بينهما، أفضت إلى اتفاقات أوسلو (1993)، التي نقلت منظّمة التحرير إلى الداخل الفلسطيني، وأنتجت السلطة الفلسطينية.

إذاً، باتت 146 دولة، من أصل 193 دولة في الأمم المتّحدة، تعترف بدولة فلسطين وعاصمتها القدس، التي سبق وأن أعلنها رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، القائد الراحل ياسر عرفات في 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 1988، خلال انعقاد دورة المجلس الوطني الفلسطيني التاسعة عشرة في العاصمة الجزائرية.

لا جدال في أنّ الاعتراف بدولة فلسطين في جزء من فلسطين التاريخية خطوة سياسية، لها رمزيتها الخاصّة، وسيكون لها انعكاسات مُؤثّرة في الساحة السياسية والدولية، إذ ستعقبها خطوات عملية تدعمها في المدى المنظور، لأنّ الاعتراف بدولة فلسطينية يعني زيادة عدد الدول التي تعترف بحقّ الشعب الفلسطيني في دولته المستقلّة أسوة بشعوب العالم الأخرى، وتحقيقاً لمبدأ تقرير المصير الذي تنصّ عليه مبادئ الأمم المتّحدة، بما في ذلك إعلان دولته المستقلّة، وبالتالي تنزع الاعترافات بدولة فلسطين أيّ شرعية عن الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، بما في ذلك المستوطنات، واعتبارها غير شرعية. كما أنّ الدول التي تعترف بفلسطين دولةً مستقلةً يقع عليها التزامٌ بالعمل من أجل مساعدة الشعب الفلسطيني في التخلّص من الاحتلال الاستيطاني الإسرائيلي، لذلك يمكن تفسير ردّ فعل حكومة الحرب الإسرائيلية الغاضبة والعنيفة على الاعترافات الجديدة، إذ قامت باستدعاء سفرائها في هذه الدول، فيما استدعى وزير الخارجية الإسرائيلي يسرائيل كاتس سفراء إسبانيا والنرويج وأيرلندا ووبّخهم بشدّة، فيما أعلن وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش رفضه تحويل عائدات الضرائب (المقاصة) إلى السلطة الفلسطينية، وطالب بتقييد تحركات مسؤوليها وتكثيف الاستيطان بالأراضي المحتلّة.

قد يذهب التفكير إلى أنّ الاعتراف بدولة فلسطينية يشكّل خطوة أولى، تمهّد الطريق أمام حلّ دائم وسلمي لصراع امتد منذ عام 1947، وطُرحت خلال سنواته المديدة مبادرات سلام، وخاصّة مبادرة السلام العربية، لكن التعنّت الإسرائيلي كان العائق الأكبر أمام نجاحها، وبسببه لم تحدث أيّ تغييرات على الأرض، وجرى نسف أسس السلام العادل والشامل، الذي أرسيت مبادئه في مؤتمر مدريد عام 1994، ثم أغلق الباب أمام مبادرات السلام ومفاوضاته كافّة، لكنّ توالي الاعترافات بدولة فلسطين، يفتح مساراً سياسياً جديداً في العالم بخصوص القضية الفلسطينية، فيجسّد مدى صمود الشعب الفلسطيني وتضحياته الجسام، ويؤكّد أنّ هذا الشعب لن يتخلّى عن حقوقه المشروعة في تقرير مصيره، وأنّ الكيان الإسرائيلي لن يشعر بالأمن والأمان إلا حين يعيش الفلسطينيون بأمان وكرامة في دولتهم المستقلّة.

ليس مفيداً الجنوح نحو انتظار نتائج مباشرة للاعترافات الدولية بدولة فلسطيني، لكن يمكن استشراف نتائج هذا المسار، لأنّه سيفضي، عاجلاً أو آجلاً، إلى تأكيد قيام دولة فلسطينية مستقلّة، قياساً على تجارب شعوب أخرى، إذ يقدّم نضال شعب جنوب أفريقيا، المرير والطويل، ضدّ نظام الفصل العنصري، مثالاً على زوال نظام الأبارتهايد وصيف نظام الفصل العنصري الإسرائيلي. قُضي على هذا النظام وإلى غير رجعة، ليس في جنوب أفريقيا وحدها، بل كذلك، في ناميبيا وزيمبابوي.

(كاتب سوري في إسطنبول)

هل مبادرة بايدن «ضربة مُعلّم»؟

جيرار ديب

يُعدّ إعلان الرئيس الأميركي، جو بايدن، مقترح الخطة الإسرائيلية لمفاوضات الأسرى الأول من نوعه، ويشكّل مفاجأة لكثيرين، حتّى في تل أبيب. وكان الرئيس الأميركي قد أعلن مقترحاً جديداً لوقف الحرب في غزّة، يتضمّن ثلاث مراحل، قائلاً إنّه «حان الوقت لإنهاء هذه الحرب»، فمنذ بدء المفاوضات غير المباشرة بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وإسرائيل، حرصت الولايات المتحدة والوسطاء على عدم التطرّق إلى تفاصيل أيّ مقترحاتٍ يجري التفاوض عليها. ولكن مع إعلان بايدن، بدا وكأنّ واشنطن أخذت زمام المبادرة لتحلّ محلّ تل أبيب وتفاوض «حماس» على ما قد يطرح على الطاولة.

بغضّ النظر عن تفاصيل ما تضمّنته المبادرة البايدنية، التي أُخرجت من كواليس البيت الأبيض، ورغم الإيجابية التي تلقّفت بها «حماس»، والحركات الفلسطينية الأخرى، المبادرة، إذ علّقت «حماس» في بيان لها في 1 يونيو/ حزيران الحالي بأنّها «تنظر بإيجابية إلى ما تضمّنه خطاب الرئيس الأميركي بشأن وقف إطلاق النار في غزة»، إلا أنّ القراءة الأساسية تكمن في سرعة الطرح وتوقيته. «حان الوقت»، المفهوم الأبرز الذي يجب التوقّف عنده في مبادرة بايدن، الذي بدا وكأنّه يفاوض عن إسرائيل، وهذا ليس بسرّ، ولا بجديد، لأنّ الجميع يعلم أنّ المايسترو الرئيس في حرب غزّة هو الأميركي. أرادت واشنطن حرباً طويلة في غزّة، وأدارت المعركة عبر وكيلها الإسرائيلي بعناية ووضوح، هي التي تريد من الشرق الأوسط إعادة تركيب هيكله من جديد، تحت شعار طرحته الإدارات الأميركية السابقة «الشرق الأوسط الجديد». وجدت واشنطن في حرب غزّة ضالّتها، عكس كل التحليلات التي اعتبرت أنّ أميركا فوجئت في هجوم 7 أكتوبر (2023)، فهي تريد رسم الممرّ الاقتصادي الجديد الذي وقّعته مع مجموعة دول في نيودلهي، في سبتمبر/ أيلول الماضي. هذا الممرّ، الذي تريد منه واشنطن أن يكون الممرّ المنافس لـ«الطريق والحزام»؛ الشريان الرئيس للاقتصاد الصيني في الشرق الأوسط، الذي طرحه الرئيس شي جين بينغ في عام 2013. فإطالة الحرب، واعتمادها منهجية تدميرية، كان مخطّطاً لهما، وهما جزء من المشروع المطروح في دوائر البيت الأبيض، وكان الوقت المناسب لتنفيذه. أمّا أن يحين الوقت لوقف الحرب، من دون أن تكون إسرائيل مُستعدّة لذلك، أو أن تكون حكومة بنيامين نتنياهو قد حقّقت مبتغاها منها، وهي على الأقل القضاء على «حماس»، وإعادة إدارة القطاع بشكل يتناسب مع الخطّة الإسرائيلية، فهنا تكمن المُعضلة. «حان الوقت»، طبعاً، بحسب التوقيت الأميركي من دون سواه، الذي تفيد فيه استطلاعات الرأي في الولايات المتّحدة بأنّ نسبة كبيرة من الشعبية البايدنية قد هبطت إلى مستويات غير سابقة لها عند العرب، وعند مناهضي الحرب على غزّة. فهل حان الوقت لإظهار إدارة بايدن أنّها هي من تبادر إلى وضع حدّ لهذا القتال الدائر لكسب أصوات انتخابية ستخسرها حتماً إن استمرّت في نهج الدعم المطلق لإسرائيل، من دون أن تبادر إلى وضع عناوين لنهايتها؟... مسألة قد تشكّل تفسيراً للاستعجال الأميركي لوقف القتال، والذهاب نحو تسويات جديّة في القطاع والمنطقة.

> هل حان الوقت لإظهار إدارة بايدن أنّها من تبادر إلى وضع حدّ لهذا القتال لكسب أصوات انتخابية ستخسرها حتماً إن استمرّت في نهج دعم إسرائيل المطلق

«حان الوقت»؛ تعتبر إدارة بايدن أنّ إسقاط طائرة الرئيس الإيراني ووزير خارجيته بمثابة نقطة تحوّل في السياسة الإيرانية المُقبلة. لهذا، قد تكون واشنطن تحتاج إلى قطع الطريق على وصول رئيس إيراني يحمل معه فكراً متزمّتاً يُدخل المنطقة في أتون الحرب التي لا تريدها واشنطن، والتي تقاطعت مع سياسة إيران السابقة على إبعاد شبح الحرب الكبرى في المنطقة. فهل تحتاج واشنطن إلى وقف الحرب في غزّة كي تقطع الطريق أمام إيران، التي تتحضّر في نهاية شهر يونيو الحالي لانتخاب رئيس لها يستعجل الحرب لإنهاء النفوذ الأميركي في المنطقة، وذلك من خلال فتح المعركة الكبرى عبر وكلائها، كما هو حاصل، اليوم، مع الحوثي في اليمن، الذي أصبح يُصعّد في ضرب السفن الأميركية في البحر الأحمر، حيث باتت صواريخه تطاول حاملة الطائرات الأميركية أيزنهاور، كما أعلن بيان له في 1 حزيران الحالي؟ «حان الوقت»؛ قد تحتاج إليها واشنطن، اليوم، بسبب الانزلاق الكبير والمحتوم للصدام العسكري (النووي ربّما) بين موسكو وحلف شمال الأطلسي (ناتو)، إذ ترتفع فرص الصدام بينهما سيّما مع إعلان البيت الأبيض أنّ الرئيس بايدن قد سمح لكييف باستخدام الأسلحة الأميركية المرسلة إليها لاستهداف العمق الروسي. هذا ما دفع موسكو إلى رفع سقف التحدّي، عبر تصريحات مسؤوليها، يؤكّدون فيها أنّ السماح لكييف بذلك يعني الحرب مباشرة مع الغرب، ولن تقتصر على الساحة الأوكرانية. فهل نحن أمام تهدئة لجبهة الشرق الأوسط، استعداداً لإشعال الجبهة الشرقية لأوروبا، وتدحرجها نحو حرب بين حلف الناتو وروسيا، وستكون الولايات المتّحدة اللاعب الأبرز فيها؟... قد يكون حان الوقت عند الأميركي لاعتبارات لا علاقة لها بسياسته ورؤيته الاستراتيجية للأزمات المشتعلة في العالم، وما بادر به بايدن يعتبر «ضربة مُعلّم»، لكنّ ذلك قد لا يكون الوقت المناسب لحكومة نتنياهو المنغمسة في ارتكاب المجازر بحقّ الشعب الفلسطيني لوقف عدوانها، عندها ستسقط مبادرة بايدن، وتدخل المنطقةُ في حربٍ كبرى، لطالما سعت إدارة بايدن إلى تجنّبها.

(كاتب لبناني)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **معن البياري** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **لياك حداد** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads